حسينيات

رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

الصباح
ALSABAH NEWSPAPER

16 صفحة
www.alsabaah.iq
ch.editor@alsabaah.iq
ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

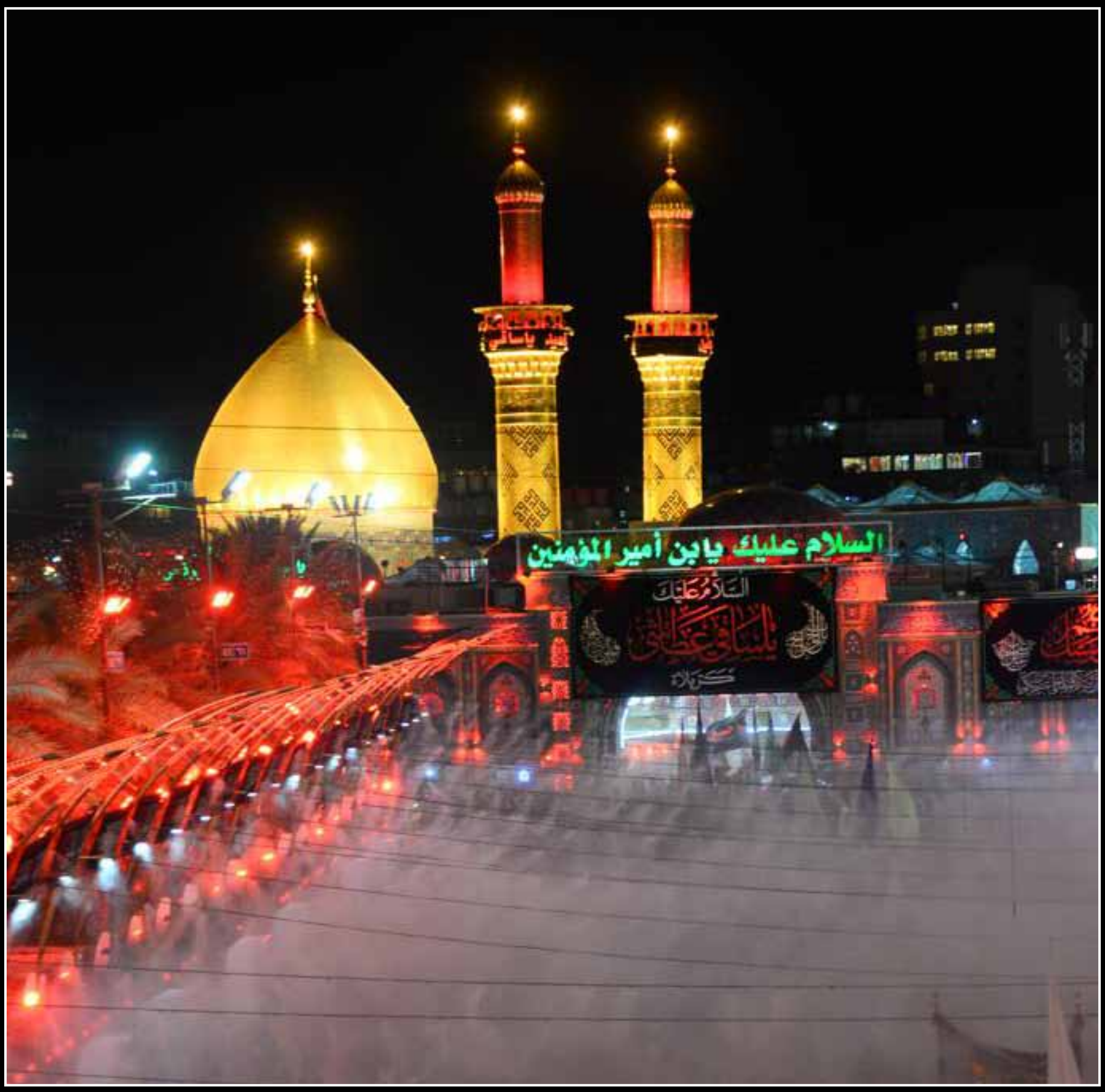

الصباح
ALSABAH NEWSPAPER
هيأة التحرير

مدير التحرير
نزار عبد الستار

سكرتير التحرير
وسام عبد الواحد

رئيس القسم الفني
مصطفى الربيعي

التصميم
خالد خضير

الاعلانات:
ads@alsabaah.iq
موبايل:
07809174852

العلاقات العامة
موبايل: 07809174853
pr@alsabaah.iq
info@alsabaah.iq

التوزيع والاشتراكات:
موبايل: 07809210536
dist.imn@alsabaah.iq

مطابع شبكة الإعلام العراقي
IMN PRESS

أوجه الأهميَّة في زيارة الأربعين

تعد زيارة الأربعين واحدة من أهم الكرنفالات الدينيَّة والشعائريَّة التي يحييها المسلمون بعد مضي أربعين يوماً من ذكرى موقعة الطف التاريخيَّة في العاشر من المحرم الحرام التي استشهد فيها الإمام الحسين ورفاقه وأهل بيته في كربلاء المقدسة. تكتسب شعيرة الأربعين أهميتها الدينيَّة والعقديَّة من خلال أمرين: الأول أنها مرتبطة بثالث أئمة أهل البيت المعصومين «ع» وعادة ما يمارس أهل المتوفى ومحبوه تقليداً كانوا قد ألفوه فيحيون ذكراه لأربعين يوماً من وفاته.

حازم رعد

وكما أنَّه وردت في الآثار الدينيَّة نصوصٌ وفيرة تحضُّ المسلمين على حضور تلك الزيارة وعدم تفويتها، بل إنَّ بعض تلك النصوص عدَّتها من علامات الإيمان؛ ذلك لتأكيد أهميتها وضرورة الاستمرار عليها؛ لأنَّ فيها عمليَّة شدٍ عاطفي مع القائد والملهم، كما أنَّ فيها إلهاباً مستمراً لشعلة الثورة ضد الظالمين وإحياء هذه الزيارة يجيء في سياق الإبقاء على جذوة الثورة في النفوس.

أما من حيث الأهميَّة «الثقافيَّة» وهي المنطقة الأوسع شمولاً والأكبر احتواءً لحصص ونشاطات شعبيَّة «جماعاتيَّة» فإنَّ اتفاق العراقيين بمختلف توجهاتهم وتنوع السرديات التي يؤمنون بها على هذه الشعيرة أعطتها طابعاً ثقافياً معبراً عن ذلك الاشتراك والتلاحم والانسجام بينهم كشعبٍ يؤمن أنْ يخصَّ الآخر الديني «ببعده العمومي والشعائري» يمكن أنْ يكون مشتركاً ثقافياً يسهم في تلاحمهم واصطفافهم «في هويَّة ثقافيَّة مشتركة» وهذا ما انعكس في الواقع وجعلهم يقدمون بلا تردد على إحياء هذه الشعيرة وهذا ما أعطى هذه الشعيرة أو الطقس بعده الثقافي الذي يتفاعل عنده الأفراد في الخارج ليشكل قاعدة وظاهرة عراقيَّة عامَّة.

ناهيك على أنَّ هذه الشعيرة كانت ولا تزال تمثل جواً من الاشتغال والتفاعل الاجتماعي بين فئاتٍ عديدةٍ من الشارع العراقي «بعيداً عن اختصاصها بمحبي أهل البيت «ع»» وتتشكل نتيجة تكرار ممارستها والمداومة عليها وعدّها بمرور الزمان معلماً يكون الهويَّة الثقافيَّة لجماعة من الناس أو لجماعات تشترك في العيش في جغرافيا واحدة، وتقوم هذه الجماعات بالاشتراك في أدائها والسهر على بقائها واستمرارها جموعٌ ليست بالقليلة من الطوائف الأخرى مثل الصابئة والمسيح والمسلمين السنَّة، فلا غرابة أنْ ترى مواكب ومشاهد تحملُ رمزياتٍ تعبّرُ عن حجم المشاركة لتلك الطوائف في هذا الكرنفال الشعائري المهيب، فتتجلى في يوم الأربعين أروع المعاني والقيم الأخلاقيَّة، فترى الأُلْفَة والمودة وحبَّ الآخرين وحبَّ التبرك بضيافتهم هو الشعور المشترك عند الجميع، فكل المشاركين فيها يشعر وكأنه ملكٌ للجميع فلا أحد يتحسس الندم في البذل والعطاء لزوار الأربعين، والجميع فيها يشعر وكأنه مسؤولٌ عن الجميع وعن أمنهم وسلامتهم وخدمتهم، وكل ذلك يحصل بعفويَّة وتلقائيَّة تامَّة وبجهودٍ ذاتيَّة مستقلة عن مؤسسات الدولة الرسميَّة، فاعتقاد الناس قائمٌ على أنَّ في ذلك مواساة لآل بيت النبي من جهة، واستنكاراً لما صُنِعَ بهذه الأسرة من تنكيلٍ وظلمٍ أوقعته السلطة آنذاك بهم فهم يستحضرون تلك الواقعة كتعبيرٍ عن رفض الظلم واستنكار الاستبداد السياسي من جهة والتعاطف الإنساني مع المظلومين والمضطهدين من جهة أخرى.

ليس ذلك فحسب فالمناسبة المشار إليها تحديداً اكتسبت أهميَّة أخرى وبعداً ستراتيجياً آخر وهو ما نستطيع أنْ نصنفه بأنَّه عالميٌّ أو دوليٌّ «وقد يكون هذا اللون من الحديث مغرياً للغاية ومستغرباً كذلك» إلا أنَّ الواقع خيرُ برهانٍ يستدلُّ به على ذلك، إذ يشترك في هذه الزيارة وبحسب الإحصائيات الرسميَّة للحكومة زوارٌ وسواحٌ وصحفيون وإعلاميون ونشطاءٌ في مجال التفكير الشرق أوسطي أو متخصصون في الدراسات الإسلاميَّة من دولٍ مختلفة يقعُ السهم الأكبر فيها للدول الإسلاميَّة والعربيَّة ثم تأتي بالترتيب دولٌ أفريقيَّة وغربيَّة وأوروبيَّة، وهذا ما يعطي لهذه الشعيرة بعدها الشمولي العام المفتوح على منفسحاتٍ كوكبيَّة رفيعة المستوى، وذلك ما يوضح أهميتها على المستوى العالمي فهي «الأربعين» آخذة بالتفتق والتوسع لتصبح حدثاً عالمياً هو الأكبر من بين جميع الكرنفالات الثقافيَّة والشعبيَّة التي تحتفي بها الشعوب والبلدان من حيث الحشد الجماهيري والتوجه الديني والتواصل الثقافي والإيماني وما الى ذلك من أمورٍ أخرى معبرة عن حجم الألفة والترابط والاتصال في هذا الكونفال.

ناهيك عن أنَّ البلد الذي يحظى بهكذا لونٍ من الكرنفالات يكسبه ذلك قوة دينيَّة وثقافيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة ويمكن استثمار ذلك ليعود بالفائدة على الدولة ومواطنيها على أصعدة ومستوياتٍ مختلفة، إذن فأهميَّة هذه الشعيرة تعدت كونها دينيَّة أو طقوسيَّة لتفتح منافذ الأهميَّة على صعدٍ أخرى أكثر جدوى من نواحٍ متنوعة، فالعراق كما هو حاضرة تاريخيَّة ضاربة في القدم، هو كذلك حاضرة دينيَّة وثقافيَّة منذ الطفوف حاضرة بالإمام الحسين هذا العنوان الكبير صار حداً ورسماً للعراقيين بمختلف طوائفهم ومذاهبهم.

وأضحت كربلاء المقدسة عاصمة معنويَّة تتجاوز الحدود والقيود عاصمة تهفو إليها القلوب بصفائها ونقائها، إنَّ أوجه الأهميَّة في هذا الكرنفال متعددة ومختلفة ولكل وجهٍ من تلك الوجوه شواهده وعناصر قوته، وحريٌ ببلدٍ تقام فيه أنْ يهتمَّ بها بشكلٍ استثنائي تبعاً لأهميتها ومعطياتها ومخرجاتها التي تجعلها من الأهميَّة بمكانٍ بحيث تكون محل احترام واهتمام الدولة والمجتمع.

تعد زيارة أربعين الإمام الحسين «عليه السلام» من الدروس الأخلاقية العمليَّة التي تكون ملكاتٍ أخلاقيَّة من جهة، وتكشف عملياً عن مستوانا الأخلاقي ودرجته من جهة أخرى. ففي زيارة الحسين «ع» مشياً على الأقدام عدة معطيات أخلاقية نذكرها إجمالا:

وسام الفرطوسي

معطيات أخلاقيَّة في زيارة الأربعين

الصبر

إنَّ الصبر قيمة أخلاقية عالية أكَّدت عليها الآيات والروايات، وإليك جملة منها: أمَّا الآيات كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ – ١٥٧).أمَّا الروايات فمنها ما عن أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام يَقُولُ: «... الصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْراً، فَاصْبِرُوا وَوَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ تُوجَرُوا». وعن حَمْزَةَ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى المَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ».

وعن أَبِي سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ المَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ»، فتبيَّن أنَّ الصبر له قيمة معنوية عالية، وله أجر عظيم، وأثر بالغ في الدنيا والبرزخ والآخرة.والمشي في الأربعين وتحمّل عناء السفر ووعثائه وما يحدث من صعابٍ لهو من المصاديق الواضحة للصبر، وخصوصاً المشي من أماكن بعيدة مع كثرة الزحام والابتلاءات، فزيارة الأربعين تعطينا دروساً عملية في الصبر على ما نكره من تحمّل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها، والصبر على ما نُحِبُّ من طاعات.

التواضع

إنَّ سمة التواضع من أهمّ سمات وفضائل المؤمن، وهي تقع في قبال رذيلة التكبّر، وقد وقع التواضع موضوعاً للمدح في العديد من الآيات والروايات. فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرضِ هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨).

ومن الروايات نذكر رواية واحدة، في مستدرك الوسائل عن مِصْبَاحِ الشَّرِيعَةِ، قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «التَّوَاضُعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ وَخَيْرٍ وَنَفِيسٍ، وَمَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ، وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَاضُعِ لُغَةٌ يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ الْعَوَاقِبِ، وَالتَّوَاضُعُ مَا يَكُونُ لله وَفِي الله، وَمَا سِوَاهُ مَكْرٌ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لله شَرَّفَهُ اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَلِأَهْلِ التَّوَاضُعِ سِيمَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاوَاتِ مِنَ المَلَائِكَةِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ.

وفي المشي إلى كربلاء يمرُّ الماشي بتمارين واضحة في التواضع والبساطة، فقد يبيت على فراش غير لائق، أو يمشي في الطرق الوعرة، أو يخدم غيره من الزوّار، أو يبتدئ بالسلام على من يلاقيه، وهذه كلّها من علامات التواضع.

الإيثار

من الكمالات التي تكشف عن رقيّ نفس الإنسان اتّصافه بالإيثار، وهو «تقديم الطرف الآخر لمصلحته وتفضيله على النفس مراعاةً له وتقديمه بمادَّة - مال مثلاً - أو منفعة أو حقّ من الحقوق».

ومن الروايات، عن أبان بن تغلب، قَالَ: كُنْتُ أَطُوفُ مَعَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا كَانَ سَأَلَنِي الذَّهَابَ مَعَهُ فِي حَاجَةٍ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَ أَبَا عَبْدِ الله عليه السلام وَأَذْهَبَ إِلَيْهِ، فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ إِذْ أَشَارَ إِلَيَّ أَيْضاً، فَرَآهُ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، إِيَّاكَ يُرِيدُ هَذَا؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَنْ هُوَ؟»، قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، قَالَ: «هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبْ إِلَيْهِ»، قُلْتُ: فَأَقْطَعُ الطَّوَافَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَقِّ المُؤْمِنِ عَلَى المُؤْمِنِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، دَعْهُ لَا تَرُدَّهُ»، قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ تُقَاسِمُهُ شَطْرَ مَالِكَ»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَرَأَى مَا دَخَلَنِي، فَقَالَ: «يَا أَبَانُ، أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ ذَكَرَ المُؤْثِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ؟»، قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا أَنْتَ قَاسَمْتَهُ فَلَمْ تُؤْثِرْهُ بَعْدُ إِنَّمَا أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ إِنَّمَا تُؤْثِرُهُ إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَهُ مِنَ النِّصْفِ الْآخَرِ».

وفي الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإنَّ تقديم الآخرين على النفس من أعظم ما يقوم به السائر إلى الحسين والخادم في موكب الحسين، فيُقدِّم مصلحة الزائر على مصلحة نفسه، وراحة الزائر على راحة نفسه، ويُنفِق من ماله لكي لا ينفق الزائر من ماله، وهكذا، فيتعلَّم من الزيارة درساً عظيماً وهو الإيثار.

التضحية

إنَّ الماشي إلى زيارة الحسين يُقدِّم الجهد الجهيد

والتضحيــة بماله أو بوقته أو بنفســه تضحية منه لأجل هــذه الشــعيرة وهــذا الديــن، وفــي ذلك تمريــن على التضحيــة لأجل المبادئ والقيم الســامية، وقد أشــار الإمــام الصــادق إلى ذلك فــي دعائه لهــم: «... اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِــي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِيَ الْحُسَــيْنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْــخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِــي بِرِّنَا وَرَجَاءً لِمَــا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا وَسُــرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَــى نَبِيِّكَ وَإِجَابَــةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا وَغَيْظــاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا...، وَأَعْطِهِــمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَــنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آثَرُونَا بِهِ عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِم».

العفَّة

مــن الصفــات التي ركَّــزت عليها الشــريعة صفــة العفَّة في البطــن والفرج، بل وصفت العفَّــة بأنَّها من أفضل العبــادات، وجــاءت النصــوص مبيّنــة لذلــك فمــن القــرآن قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُــمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ﴾ (المؤمنــون: ٥)، وقوله تعالى:﴿وَالْحافِظِيــنَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

ومــن الروايات ما عَنْ المُفَضَّلِ، قَــالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه الســلام: «إِيَّاكَ وَالسَّــفِلَةَ فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ، وَاشْــتَدَّ جِهَادُهُ، وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِــيعَةُ جَعْفَرٍ».

فــإنَّ الزيارة فيها نحو من أنحــاء الاختلاط، وهو وجود الزائــرات والزائرين في مكان واحد، وهنا تبرز العفَّة في التعامل مع الجنس الآخر من خلال غضّ البصر وحفظ اللسان وحفظ اليد والفرج عن التعدّي.

الشجاعة

الزيــارة تُعلِّم الإنســان الشــجاعة في اتِّخــاذ الموقف، والصبــر على الخوف، وقوَّة الإقــدام خصوصاً مع المنع للزيــارة كمــا كان يحصل أيّــام الطاغيــة. ففيها توطين للنفس على المواجهة والتعدّي للموت والقتل والسجن والتعذيــب، وما هذا إلَّا صور رائعة من صور الشــجاعة والإقدام في سبيل المبادئ والقيم الدينية.

الموالاة والبراءة

مــن المفاهيــم العقائدية التــي ركَّزهــا آل البيت عليهم السلام في نفوس أتباعهم مفهوم الولاء لأولياء الله تعالى والبــراءة مــن أعداء الله تعالــى، وهــو أن تجعل حبَّك ومودَّتك وطاعتك لأولياء الله تعالى وبغضك وعصيانك لأعــداء الله تعالى، وهــذان المفهومان لهمــا تأثير على المســتوى العقــدي فلا إيمــان حقيقياً إلَّا بهمــا، وعلى المســتوى العملي فلا قبول، بل لا صحَّة للعمل - على خــلاف - إلَّا بهما، وهذا ما أشــارت له الكثير من الآيات والروايات.ومن الروايات: عَنْ سَــعِيدٍ الْأَعْــرَجِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه الســلام، قَالَ: «مِنْ أَوْثَقِ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ، وَتُعْطِيَ فِي اللهِ، وَتَمْنَعَ فِي اللهِ»، وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: «كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبَّ عَلَى الدِّينِ وَلَمْ يُبْغِضْ عَلَى الدِّينِ فَلَا دِينَ لَهُ».

في طريق الأربعين إلى سيّد الثائرين

محمد شريف أبو ميسم

في الطريق الواصل بين الثائرين وطلب الإصلاح، حســين واحد، وســيد واحد، له مزية التصدي وقبول التحدي لكل ما له صلة بالفساد والمفسدين ومواجهة الموت في وقت واحد، وله مزية الأصل والحسب والنسب التي لا يدنو إليهما دان، وله مزية الفصل التي دعت السيوف لجسده الطاهر، وله ما ليس للآخرين من إيثار وشــجاعة وإباء وتمسك بالقيم النبيلة والمبادئ الأخلاقية التي جاءت بها كتب السماء.

مــن أجل ذلك، فــإنَّ مقتل الحســين وأصحابــه، وتعليق رؤوســهم على الرمــاح مــن الكوفة إلى الشــام ثــم العودة بهم بعــد أربعين يومــاً بصحبة عيالهم ونسائهم سيراً على الأقدام على مسافة 2100 كيلو متر، لهو حدث لا يمكن إلّا أن يكون مفصلاً تاريخياً، تسقط أمامه كل المناسبات والذكريات وتواريخ الانتفاضات والثورات.

فمــا بالك إن وقعت الفاجعة على أرض عُرفت بالوفرة وســعة الرزق وزيادة الخير، وعُرف ســكانها بالسخاء والجود والكرم، وإذا بهم يجدون ابن بنت نبيهم مذبوحاً على غفلة منهم ومن التاريخ. ومن كنف الأحداث التي عرفت بهــا بلاد الرافدين، والتي مــا لبثت إلا وكانت محتدمة عبــر تعاقب القرون والعقود، حتى وجع النفوس التي أثخنتها سنوات الطغيان والفساد في زمن الإنترنــت، فما كان هذا المصاب الجلل إلّا أن يكــون في أعلى هرم الرمزية جديراً بولادة حسين في كل يوم أملاً بحلم المدينة الفاضلة التي تتماهى في اللاوعي حباً شــديداً وافراً حد الموت علــى المبادئ التي ذبح من أجلها ابن بنت رسول الله.

أجيال تلي أجيالاً تعيش العشــق الحســيني بكل خصالــه التي تنزع الغرور عن الذات الإنسانية المجبولة على التكبّر، فلا التفوق ولا المال ولا المكانة الاجتماعيــة، ولا حتى رغبة الانتصار على الذات تحول دون البكاء على هذا المصاب الجلل، الذي هتك براءة هذه الأرض وأدان التاريخ متجســداً بهذه الذكــرى التي تزحف الملايين ســنوياً نحــو إحيائها على مدار الأيام العشــرة الأولــى من محرّم، ثم يتــوج الحزن في إحياء زيــارة الأربعين التي عاد فيها أهل البيت إلى كربلاء يوم العشرين من شهر صفر.

إذ تحــزن هذه الأرض ومن عليهــا ليكون إحياء ذكرى الحســين وأهل بيته وأصحابه صورة تحاول أن ترتقي لصورة زينب وعلي بن الحســين الســجاد عليهم الســلام وبرفقتهما الأطفال وهم يلتقون عند قبر الحســين بالصحابي جابــر بن عبــد الله الأنصاري، إذ صــادف وصوله من المدينــة المنورة إلى كربلاء في ذلك اليوم وهو يوم وصول ركب حرم الحسين (نسائه وأيتامه)، إذ نصبــوا مناحة عظيمــة تحاول أن ترتقــي لها الملايين مــن الزائرين عبر الوصــول إلى مرقد الحســين مشــياً على الأقدام متحدين أشــعة الشــمس اللاهبــة إحيــاء لهذه الذكــرى الأليمة، التي أصبحت ســنة للأحــرار ولمن يشتركون في عشق الحسين.

أربعينيَّة الحسين (ع).. سراجٌ لا ينطفى

بشير خزعل

بقيت جثّةُ الإمام الحسين (ع)، وجثثُ أهل بيته وأصحابه بعد واقعة الطفّ، مطروحةً على رمضاء كربلاء ثلاثة أيّامٍ بلا دفن، تصهرها حرارة الشمس المحرقة، وفي اليوم الثالث عشر من المحرّم أقبل الإمامُ زينُ العابدين (ع)، لدفن أبيه الشهيد؛ لأنّ الإمامَ المعصوم لا يلي أمره إلّا إمامٌ معصومٌ مثله.

وتذكر كتب التاريخ، لمّا أقبل السّجادُ (ع) وجد قوماً من بني أسدٍ مجتمعين عند القتلى، متحيّرين لا يدرون ما يصنعون، ولَمْ يهتدوا إلى معرفتهم؛ وقد فرّق القومُ بين رؤوسهم وأبدانهم وربّما يسألون مَنْ أهلُهم وعشيرتُهم، فأخبرهم (ع) عمّا جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة، وأوقَفَهم على أسمائهم، كما عرَّفَهم بالهاشميّين من الأصحاب، فارتفع البكاءُ والعويل، وسالت الدموع منهم كلّ مسيل، ثمّ مشى الإمامُ زين العابدين (ع) إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً، وأتى إلى موضع القبر، ورفع قليلاً من التراب فبان قبرٌ محفورٌ وضريحٌ مشقوق، فبسط كفَّيْه تحت ظهره وقال: "بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، صدق اللهُ ورسولُه، ما شاءَ اللهُ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم"، وأنزلَهُ وحدَه، لَم يُشاركْه بنو أسدٍ فيه، وقال (ع) لهم: "إنّ معي مَن يُعينني".

ولمّا أقرّه في لحده، ووضع خدّه على منحرِهِ الشريف وخاطَبه قائلاً "طوبى لأرضٍ تضمّنت جسَدَكَ الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة والآخرةَ بنورِك مُشرِقة، أمّا الليلُ فمسهّد والحزنُ سرمد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، وعليك منّي السّلام يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته)، وكتب على القبر: هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً".

ثمّ مشى إلى عمّه العبّاس (ع) فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السّماء وأبكت الحور في غرف الجنان، ووقع عليه يلثمُ نحره المقدّس قائلاً: "على الدّنيا بعدك العَفا يا قمرَ بني هاشم، وعليكَ منّي السّلام من شهيدٍ محتسبٍ ورحمةُ الله وبركاته"، وشقّ له ضريحاً وأنزله وحده كما فَعَل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد: "إنّ معي مَن يُعينني". وترك مساغاً لبني أسدٍ بمشاركته في مواراة الشهداء، وعيّن لهم موضِعَيْن وأمَرَهم أنْ يحفروا حفرتَيْن، ووضَعَ في الأُولى بني هاشم، وفي الثانية الأصحاب، وبعدما أكمل الإمامُ (ع) دفنَ الأجساد الطاهرة، عاد إلى الكوفة والتَحَق بركبِ السبايا.

زيارة الأربعين

سميت هذه الزيارة بالأربعين لأنها تمثل مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين "ع" في العاشر من المحرم سنة 61 للهجرة، كما أنَّ هذه الزيارة توافق في يوم العشرين من صفر وهو اليوم الذي ورد فيه الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري إلى المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين "ع" فكان أول من زاره من الناس، وفي هذا اليوم أيضاً وافق رجوع عيال الإمام الحسين "ع" من الشام إلى كربلاء مرة أخرى بقيادة الإمام زين العابدين "ع" فالتقى بجابر، من هنا بدأت زيارة الأربعين الإمام الحسين، كما أنه اليوم الذي رجعت فيه رؤوس أهل البيت "ع" إلى أبدانهم في كربلاء.

ويروى أنَّ الصحابي جابر الأنصاري في يوم العشرين من صفر وقف على القبر الشريف لأبي عبد الله الحسين فأجهش بالبكاء وقال يا حسين ثلاثاً، ثم قال: حبيبٌ لا يجيب حبيبه وأنّى لك بالجواب وقد شطحت أوداجك على أنباجك، وفُرِقَّ بين رأسك وبدنك، فأشهد أنك ابن خاتم النبيين وابن سيد المؤمنين وابن حليف التقوى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء وابن سيد النقباء وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك ما تكون كذلك وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان وفطمت بالإسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أنَّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد انك مضيت على ما مضى عليه أخوك المجتبى ابن زكريا".

يعدُّ يوم الأربعين من النواميس المتعارفة للاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً، نفهم هذا المعنى عندما يتجلى في موضوع كالإمام الحسين (ع) الذي بكته السماء أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، ولعلَّ رواية أبي جعفر الباقر (ع) أنَّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء تلميحٌ إلى هذه الممارسة المألوفة بين الناس.

أهمية الزيارة

أكّدت أحاديث الأئمّة "ع" أهميّة زيارة الأربعين، حتى جعلها الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ "ع" من سيماء المؤمن فقال: "علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتّختّم باليمين، وتعفير الجبين".

وهـذه الزّيارة رواهـا صفوان الجمّال عـن الإمام الصّادق فقال: "قال لي مولاي الصّادق تزور الحسـين عند ارتفاع النّهـار وتقـول.. ثمّ تـلا الزّيـارة". وإذا كان الباحثون قد اختلفوا، إثباتـاً أو نفياً، حول رجوع السّـبايا إلى كربلاء في العشـرين من صفـر، فإنّهم اتفقّوا جميعـاً على ورود جابـر بن عبد الله الأنصاريّ إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله الحسـين "ع" في ذلك التّاريخ بعد استشـهاده بأربعين يومـاً، بمرافقة أحد كبار التّابعين، الذي يسـمّيه البعض عطيّة والبعض الآخر عطاءً، ويحتمل أنّه عطية بن حارث الكوفيّ الهمدانيّ، وهو أحد كبار التّابعين الذين سـكنوا في مدينة الكوفة. ومن المعروف أنّ جابراً، هذا الصّحابيّ المشـهور، شـهد جـلّ المغـازي مع رسـول الله (ص)، وصحبه في السّرّاء والضّراء.

دلالة الزيارة

أيمكـن أنْ تكـون زيارة جابـر لكربلاء في ذلـك التّاريخ مصادفة، أم أنّ جابراً تعمّد زيارة الإمام الحسين في اليوم الأربعين بعد استشـهاده لاعتبارات تتعلّـق بزمنٍ محدّدٍ وعددٍ محدّد؟ هل تناهى إلى سـمعه ما رواه الأئمّة عليهم السلام نقلاً عن رسول الله "ص" عمّا له علاقة بالأربعين. يتكـرّر ذكـر العـدد الأربعيـن فـي القـرآن الكريـم وفي الأحاديـث الشّـريفة، وكذلك في تفاسـير كثيـرة لآيات بيّنـات عند المفسـرّين علـى اختلاف مذاهبهـم، فعلى سبيل المثال، ورد في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ البقرة:51. ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة: 26. ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: 142. ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف: 15.

هدم قبر الامام

عندمـا هَدم المتوكل القبر الشّـريف، ظـنّ وأعوانه أنهم بهذه الطّريقة سـيحولون بيـن النّاس وبين زيـارة الإمام الحسـين "ع". صحيـح أنّ رجال المتـوكّل منعو محبي الإمـام الحسـين (ع) مـن الاقتـراب من ذلـك الموضع الشّـريف، ونكّلوا بمـن تحدّاهـم، إلاّ أنّ العناية الإلهيّة تدخّلـت فلم يندرس المكان، وعُـرف موضع دفن الإمام عليه السّـلام، فقد ذكر ابن كثيـر (ت 774 هـ) في البداية والنّهايـة، ج11/580:«أنّ المـاء لمّـا أُجـري علـى قبـر الحسـين لِيُمَحى أثره نضب الماء بعد أربعين يوماً، فجاء أعرابيّ من بني أسـد، فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشـمّها حتـى وقـع على قبر الحسـين، فبكـى وقال: بأبـي أنت وأمي، ما كان أطيبك وأطيب تربتك".

الأربعينيَّة.. المسير نحو البطولة والخلود

د . صادق كاظم

تجسـدُ الزيارة الأربعينيَّة التي تقام وتتجدد شـعائرها بمناسـبة مرور أربعين يوماً على حادثة كربلاء الأليمة ومصرع الإمام الحسـين (ع) وأنصاره، أسمى معانـي البطولة والتضحية واسـتذكاراً مجيداً لحادثـة تاريخيَّة فجعت العالم الإسـلامي ولا تزال، حيـن خرج الإمام الحسـين من أجل مشـروعه الثوري الإصلاحي الذي هزَّ عـروش الطواغيت وفتح الطريق أمام المناضلين والثوار ليواصلوا المسير من أجل الوقوف بوجه الظلم والباطل ونصرة الحق.

إنَّ التاريـخ ليفخر بهذه الثورة المجيدة التي شـكلت تحولاً عظيماً في مسـار التصـدي للمشـروع الانحرافـي الأموي الـذي أراد للأمة الإسـلاميَّة أنْ تعودَ مـن جديد الى قيم الجاهليَّـة، حين حاول الأمويون ممثليـن برؤوس التآمر والإرهاب الذين قادوا هذا المشـروع الانحرافي مسـتغلين حالة الفوضى التي عمَّـت الأمة الإسـلاميَّة والفتنة التي عملوا على إيقـاد نيرانها داخل المجتمع الإسلامي بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) من أجل السيطرة على الحكم.

لقـد وجد الأمويون في الإمام الحسـين (ع) حائط الصد العظيم الذي يمكن أنْ يقـوض مشـروعهم الخطيـر الذي حاولـوا تمريره بالقوة والعنف وسـفك الدماء واسـتباحة الحرمات والمقدسـات فعملـوا على اسـتهدافه وقتله بأيَّة وسـيلة كانت غيـر مبالين بمكانته الدينيَّـة والروحيَّة العظيمـة بوصفه آخر حفيدٍ للنبي (ص) وابن بضعته الزهراء البتول (ع).

لقد كان الإمام الحسـين (ع) مُدركاً لأبعـاد هذا المخطط وأهدافه فعمل على التحرك باتجاه تقويضه وإفشاله من خلال تصديه الشخصي لذلك بالاستعانة بأعوانـه المخلصين وأهـل بيته النجباء عندما رفض تقديـم البيعة والإذعان لمطالب الطغاة مؤثراً الشـهادة على التنازل والابـاء والكبرياء على الخضوع.

كان من الطبيعي وفي ظل الظروف التي رافقت عمليَّة وصول الإمام الحسين (ع) الـى أرض كربلاء وانقطاع الإمدادات من الثوار إليه أنْ يستشـهد الإمام فـي ميدان المعركة، لكنَّ ذلك الانتصار المزيف الذي حققه بنو أميَّة بمعونة المرتزقـة لم يكـن كافياً أو مانعاً أمام اندلاع عشـرات الثـورات التي تلاحقت تطالب بدم الحسـين، بل إنَّ بني أميَّة كتبوا فـي الواقع بداية النهاية لنظام حكمهم بعد كربلاء.

إنَّ المخطـط الأمـوي لاسـتثمار ما حدث يوم العاشـر من كربـلاء وتوظيفه على أنَّه إعلانٌ لبداية الهزيمة للمشـروع الإصلاحـي الثوري الذي قاده الإمام الحسـين (ع) لم يستمر ولم يكتب له النجاح، بل تقوضت دعائمه وأسسه

مـع انطلاق موكب السـبايا من النسـاء والأطفال الذين تـمَّ اقتيادهم عنوة الى دمشـق في مسـيرة كانت حافلة بالتفاصيل الأليمة التي عمقت الشـعور بمظلوميَّة أهل البيت ومدى خساسـة ودنـاءة الجيش الأموي والطاغية يزيد الذيـن أقدمـوا على هذا الفعـل الإجرامي بقتل الإمام الحسـين وذبحه بتلك الطريقـة البشـعة والمؤلمـة. لم يكـن الطاغية يزيـد يتوقع امتداد مسـاحة التعاطف والتأييد لأهل البيت (ع) خلال رحلتهم الى الشـام، بل إنَّ الصور الإنسـانيَّة التي أثارها المتعاطفون مع هذه المحنة ممَّن مرَّ بهم موكب السبي أكدت - ومن دون شـك - فشل المشـروع الأموي الانحرافي والتبريرات التي قدموهـا من أجـل التغطية على جريمتهم التي سـتبقى تلاحقهـم على مدار الأزمان والعصور.

إنَّ التاريخ ليقف اليوم إجلالاً وشـموخاً أمام هذا الموكب العظيم الذي قادته السـيدة زينـب (ع) وهي تتحدى بـكل العنفوان العلـوي المحمدي الطغاة والمجرمين من القتلة وتكشف زيف شعاراتهم ومبرراتهم، بل وتعلنها صراحة أمامهم بأنَّ الثورة على الظالمين والطغاة قد بدأت فعلاً منذ يوم العاشـر من محرم ولن تتوقف وستكون هذه الثورة نبراساً ومناراً عظيماً ودليلاً هادياً لكل الثوار الباحثين عن الحق والعدل والكرامة والإنسانيَّة.

في الأربعينيَّة..

الإصلاح والثورة

طالب سعدون

نقع في خطأ كبير عندما نصف وقفة الحسين (ع) في كربلاء بأنها مجرّد ثورة، بتصور واهم أننا بهذا الوصف نكون قد أعطينا الإمام الحسين حقه باعتبار أنَّ الثورة عند السياسيين والأكاديميين هي (أعلى مراحل التغيير).

إنَّ الوصف المناسب لوقفة الإمام الحسين يجب ألّا نبحث عنه في المصادر و(القواميس) السياسية والأكاديمية والمدرسية، بل يجب أن نأخذه من الإمام (ع) نفسه عندما قال قولته الشهيرة: (لم أخرج أشراً ولا بطراً، بل لطلب الإصلاح في أمة جدي).

وبهذا الهدف العالي يكون الإصلاح أكبر من الثورة لأنه امتداد طبيعي لرسالة النبي الكريم محمد (ص)، وتحقيق التواصل معها، دون انقطاع إلى أن تقوم الساعة.

ومن هنا فإنَّ لوقفة الحسين (ع) وصفاً خاصاً بها لا تجده في مصطلح الثورة السياسي أو الأكاديمي المحدّد بهدف خاص (بالثورة والثوار)، ولا في غيرها من أدوات التغيير المعروفة سياسياً على مدى التاريخ، والتي من أهدافها انتقال السلطة إلى الثوار وهذا ما يحصل في كل الثورات، لكن عند الحسين هي رسالة.

فإذا كانت الثورة في أحد معانيها السياسية، رفضاً لواقع سيئ، فليس بالضرورة أن يتحقق الأفضل بالثورة، فقد حصل في بعض تجارب الثورات أن تراجعت الحال نحو الأسوأ بعدها، أو قد يكون المتحقق لا يساوي قيمة التضحيات والمعاناة، أو لا يرتقي إلى مستوى الآمال الكبيرة المعقودة على الثورة، أو قد تنحرف الثورة عن مسارها، حتى وإن كانت بسبب ظروف صعبة خارج إرادتها.

أما وقفة الإمام الحسين فكانت خارج هذه القياسات، ولها قياسها الخاص، الذي تستمده من رسالة جده الرسول (ص)، وخلاصتها حديثه (ص): (حسين مني وأنا من حسين) فحسين من الرسول معروف وهو امتداد في النسب، أما كيف يكون الجد من الحفيد فذلك تمثله وقفته المشهودة في تحقيق التواصل مع رسالة جده وضمان استمرارها دون انقطاع، واستمرار اسمه (ص) يتردّد مع رسالة حفيده إلى أن تقوم الساعة.

وبهذا الهدف تكون وقفة الإمام الحسين خالدة في مضمونها الرسالي ومستمرة في عطائها الإنساني خارج قياس الزمان والمكان المتعارف عليه في الثورات الاعتيادية، وحية في روحها وتزداد قوة سنة بعد أخرى، وبذلك فهي رسالة أممية في تجاوزها الحدود المكانية وفي إشعاع مبادئها وإحياء ذكراها ليس تعاطفاً إنسانياً فقط وإنما في استلهام مضامينها والسير على هداها.

والأربعينية التي نعيش أيامها ونستلهم دروسها أصبحت رمزاً عالمياً لوقفة عظيمة لأبي الأحرار، ولم تعد ظاهرة شعبية عراقية فحسب، فهناك مشاركات كبيرة من خارج العراق تزداد هي الأخرى، سنة بعد أخرى أيضاً تصل إلى أعداد لا يمكن حصرها من المشاركين وفي طليعتهم الشباب الذين تطوع قسم كبير منهم للخدمات وجمع النفايات والأوساخ على طول الطرق التي يمر بها زائرو الإمام، وانتشار وسائل الضيافة بما فيها فتح الناس بيوتهم لاستقبال الزائرين على الطرق المؤدية إلى مرقد الإمام، وهي بمجموعها تشكل مؤسسات خيرية شعبية تطوعية، تقدم الخدمة والراحة والمنام والسكن، لمدة تصل إلى نحو شهر تقريباً وهي ظاهرة تستحق التوقف عندها.

أعداد الزائرين مشياً على الأقدام بالملايين تعادل نفوس دول وهي رمز الوحدة والتعاون والتكافل الاجتماعي لنجاح هذه الظاهرة وإظهارها بالمظهر الذي يليق بالإسلام عامة والعراقيين خاصة وتعكس تمسكهم بمنهج الحسين ورسالته.

لكل عمل، صغر أم كبر، عائد وجدوى وهدف، وظاهرة السير على الأقدام إلى كربلاء، ينبغي أن يكون عائدها بما يوازي قيمة المحتفى به، وهو الوفاء لمبادئ الإمام الحسين، والسير على هديها.

ولنا في أصحاب الحسين درس آخر، لا تنطبق عليهم الحسابات التقليدية في موازين القوة من حيث العدة والعدد بين الطرفين.. (فالتفاوت بينهما جعل الإمام الحسين ليس اسما، وإنما هو عنوان ورمز لكل موقف يجسد معنى البطولة والفداء والتضحية بالغالي والنفيس من أجل العقيدة والمبادئ، (مهما كان جبروت الطغاة وتعسف قوى الظلام والضلال).

فمبادئ الحسين تجدها اليوم بعد مضي أكثر من 1400 عام عند أي رافض في العالم للظلم، أو ثائر في أقصى المعمورة ضد الفساد والاستبداد والقهر والتعسف والجور والتمييز والاستئثار بالمال العام والسلطة لأغراض شخصية.

والسير على هدى هذه المبادئ يعني اقتفاء روح مبادئ الإسلام، ورسالته الأممية التي جاء بها الرسول محمد (ص) وحافظ عليها الإمام الحسين بهذه الوقفة العالية، وجعل من تلك المبادئ السامية طريقاً يمكن أن تستفيد منه الشعوب في تحقيق سيادتها واستقلالها، ورفض الظلم والعبودية، ويكون قدوة للتخلص من الاستعمار، عندما يفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة، كما يقول موريس دو كابري.

وتلك هي مبادئ الإسلام وجوهر رسالته السامية التي استشهد من أجلها الإمام الحسين (ع) وصحبه الكرام.

وهذا هو الإصلاح في وقفته.

دروس كثيرة في مدرسة الإصلاح الحسينية ينبغي السير على هداها وفي مقدمتها أنَّ (التضحية والالتزام بالمبادئ هما اللذان يمنحان المشروعية والشرعية للحاكم) وثانيها أنَّ (القرب من مصدر الإشعاع، وهو جده رسول الله (ص) فرض عليه مسؤولية التصدي للانحراف)، وليس الاستئثار بمنصب أو مغنم.. أما الثالث فيتعلق بأصحاب الحسين (ع).

صحيح أنَّ أصحابه قلة من حيث العدد لكنهم كانوا مثالاً في قوة المبادئ والتمسك بها مهما غلت التضحيات وفي مقدمتها التضحية بالنفس، بحيث تركوا المال والجاه والمنصب الذي يمكن أن يوفره لهم الطرف الآخر، وأقبلوا على الحسين (ع)، رغم معرفتهم بأنَّ مصيرهم سيكون الشهادة والموت، وكانت أمنية الأماني بالنسبة لهم أن يقتلوا مرة بعد أخرى بين يديه، بينما قال من جند الطرف الآخر لقتل الحسين وإراقة الدماء: (كم تدفع لنا من المال) على حد قول العالم والأديب جورج جرداق، وشتان ما بين الموقفين.

تجليات القيم السامية في مسيرة الأربعين

شكّلت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) بقيمها السامية مصدر إلهام وتحريض للطامحين إلى صناعة الحياة الحرّة الكريمة في جانبها الثوري، من خلال ما تبثه في النفوس من نوازع محملة بالرفض والتحدي لقوى الطغيان والتسلط والفساد التي تهدف إلى سلب الإنسان كرامته وقيمه الإنسانية، ومصادرة حقوقه في العيش بما يحفظ له الكيان المعنوي والمادي الذي جعله الله له، أو ما سنّته له الشرائع السماوية من جانب، والشرائع الأرضية السليمة من جانب آخر.

أحمد الشطري

وإلى جانب ذلك فقد كانت تلك القيم السامية بما انطوت عليه من تضحيات وما تضمنته من دروس حياتية نبيلة منارا هادياً؛ لغرس بذور العطاء والعمل المثابر على إصلاح النفوس وتزويدها بالطاقة الإيجابية التي تفتح أمامها منافذ النزوع لكل ما هو خيّر ونبيل.

وعلى هدي تلك الثورة خطّ الثوريون طريقهم على مدى قرون نحو هدفهم السامي في مقارعة الظلم والطغاة، وكان نهر التضحيات دائم الجريان مستمداً ديمومته من نبعه الأول المتصل بنحر سيد الشهداء (ع) وصحبه، وظل صوت كلمة الرفض والكبرياء الثورية متصلاً بذلك الصوت الزينبي الذي هدر متوشحاً بجلالة الغضب الحسيني في قبالة غرور الطاغية زارعاً الرعب في أركان عرشه المرتجف.

ومنذ أول انطلاق لمسيرة الأربعين وعلى مدى السنوات التي قطعتها مثلت مصدر رعب وخوف لسلطة الطغيان والفساد، ولذلك واجهت ما واجهته من منع وقمع وحذر دائم، بيد أنَّ شمسها لم تأفل وضوؤها لم يخبُ وصوتها لم يكتم، بل بقيت تزداد توهجاً، فاتحة آفاقاً ومنافذ متعددة؛ لتعم كل بقاع الأرض بما تهيأ لها من حاضنة أتاحتها الظروف، ونواقل إعلامية هيأتها لها التقنيات الحديثة، فلم يعد صوت الثورة والحب والولاء لذلك الضوء الحسيني الساطع منحصراً في مكان ضيق لمدينة صغيرة، بل أصبح ممتداً على مدى الآفاق الواسعة زارعاً في العيون المُنَوَّمة والأسماع المُغَلَّقة ملامح الصورة الوهاجة والصوت الهادر الذي يهدم كل جدران العمى التي بناها الأمويون بمختلف وجوههم وعصورهم {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة : 16].

ولم يعد (طريق الأربعين) محصوراً بين حدود المحافظات العراقية وكربلاء بل أصبح يمتد عبر مسافات شاسعة عابراً كل الحدود الجغرافية؛ ولكن مسيرة (السير على الأقدام) ظلت ثابتة المنطلق من داخل الحدود العراقية مستعينة بما يوفره العراقيون من دعم لوجستي بمختلف الأشكال، متمثلاً بتلك الروحية التي جُبلت على البذل والعطاء والتضحية؛ لتكون انعكاساً حقيقياً وملموساً لتلك البذرة التي بذرها الإمام الحسين (عليه السلام) في هذه الأرض، التي شاء الله لها أن تكون خصبة في احتضانها تلك القيم النبيلة والسامية، حتى أصبحت محط أنظار العالم أجمع، ومبعث إعجابهم ودهشتهم بما ليس له مثيل في كل بقاع المعمورة؛ وليكونوا ببركة وجود الإمام (ع) في أرضهم وقلوبهم مصداق استجابة الباري- عزّ وجل- لدعاء إبراهيم عليه السلام {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ} [إبراهيم : 37].

إنَّ صورة العطاء والبذل التي جسّدها العراقيون بمواكبهم وبيوتهم الممتدة على طول (طريق الأربعين) باتجاهاته المختلفة بلا شك تشكل صورة إعجازية لا يختلف عليها اثنان. ولا يمكن تفسيرها لا سوسيوثقافياً ولا سيكولوجياً؛ لأنها خارج كل التوصيفات والتحليلات، بل لعلها في بعدها المادي كسرت كل توقعات منطق التحليل الاقتصادي، فجعلت من القيمة المعنوية للأشياء معياراً يفوق قيمتها المادية والسوقية المتعارف عليها اقتصادياً، وهو أمر إذا ما حدث فإنه يحدث بشكل محدود واستثنائي، ولكن حدوثه بهذا الشكل الواسع والعام، هو ما يمكن أن يعد إعجازياً لا تستطيع أن تفسره المنطقية المادية.

إنَّ حضور القيم الروحية التي تستمد فيوضاتها من ذلك المصدر الرباني هو ما يجعل من كل شيء مرتبطاً به خارج قياسات التوقع والتخمين والتحليل المادي.

عالميَّة زيارة الأربعين

تحقيقاً لنبوءة السيدة زينب (ع) الخالدة التي أطلقتها متحدية أمام الطاغية يزيد (فكدْ كيدك واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فو اللهِ لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا) معلنة استمرار البرنامج الحسيني الإصلاحي وعدم توقفه باستشهاد صاحبه أو وفاة من وقفوا معه مساندين إياه، ومنذ ذلك الوقت والى اليوم أو الى ما شاء الله بدأ الزحف المليوني الهادر صوب كربلاء بجماهير أعلنت مواساتها وحزنها على سيد الشهداء (ع) فكانت باكورة هذا الزحف على يد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) واستمرَّ الزحف المنفرد الى أنْ وصل الى الملايين ومن ثمّ الى عشرات الملايين كما يحدث الآن،

عباس الصباغ

فكربلاء لم تكن فحسب بزمكانها المدوّي والفاجع مسرحاً لحادثة تراجيديَّة .مأساويَّة انقضت ساعاتها في العاشر من المحرم سنة 61 للهجرة عن أحداثٍ حفرت ندوبها التي لا تُمحى في أديم الزمن وذاكرة المخيال الجمعي البشري الذي لم يشهد بشاعة لحادثة مأساويَّة وصلت الى درجة بشاعة ذبح طفلٍ رضيعٍ في حجر أبيه لمجرد أنْ طلبَ أبوه الماء، وقطع رؤوس المخالفين لمجرد إبداء الرأي بعد استشهادهم، ولهذا وانطلاقاً من تلك النبوءة (واللهِ لا تميت وحينا) تسعى الملايين المحبة للحسين (ع) الى استذكار مشروعه الإصلاحي (ما خرجتُ إلاّ للإصلاح) ومستذكرين حادثة تسيير قافلة الحسين (ع) المكونة من النساء والأطفال والرجال المرضى في أبشع حال لا إنسانيَّة من كربلاء ومن ثمّ الى الكوفة ومنها الى الشام مروراً بالكثير من القرى والمدن المخالفة لسياسة أهل البيت العلوي الإصلاحيَّة.

تفدُ الملايين من جميع أنحاء العالم فضلاً عن العراق، مشكّلة كرنفالاً مليونياً (عالمياً) تضامنياً يجمعهم حب الحسين (ع) ومن جميع الأجناس والأعراق والإثنيات والألوان والمذاهب والأديان كلهم يرطنون بحب الحسين وفي لغاتٍ شتّى ترى أشكالهم مختلفة وألوانهم شتّى ولغاتهم ولهجاتهم متباينة لكنَّ قلوبهم واحدة متفقة على حبّ الحسين الذي يجمعهم كنسقٍ عالميٍ واحدٍ شعارهم كلهم (يا حسين).

من يمشي في شوارع وأزقة كربلاء لا سيما القريبة منها من المراقد المشرّفة والمزارات الشريفة يرى جميع ألوان البشر ويسمع ما لم تسمعه أذناه من قبلُ من لغاتٍ ولهجاتٍ يرطن بها أناس قدموا من مشارق الأرض ومغاربها ترنو أبصارهم صوب الحسين (ع) وولوّا وجوههم شطره وبذلوا الأموال وتكبدوا مشقات السفر ووعثاء الطريق ومخاطره شوقاً الى الإمام الشهيد فهو عند المؤمنين العارفين بقدره ليس مجرد شاخصٍ معماريٍ ومعلَمٍ يتغير بتغير الأيدي القائمة على التشرف بإدارة مرقده المقدس وبتغير الأيام والليالي بل هو مثابةٌ للناس كما جُعلت الكعبة مثابة للناس وأماناً لهم (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً) ومستقراً للرحمة والهداية والاتصال بالله والاعتراف بأجر الرسالة (قُل لا أسألُكُم عَليه أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى) فزيارة الحسين (ع) هي جزءٌ من ردّ الجميل والمودة المكافِئة لأجر الرسالة فهؤلاء يرطنون بحسب أبجدياتهم المتباينة بهذه المودة ويعبّرون عنها بمختلف ألسنتهم عنها اعترافاً بها.. وعرفاناً للأجر المناط بأعناقهم وردّ الجميل للنبي صلى الله عليه وآله بزيارتهم للحسين (ع) الذي يرطنون بحبه بل ويتمنون لو يمشون على ذات النهج الذي سار عليه المؤمنون وحسُن أولائك رفيقاً رغم الثمن الباهظ الذي دفعه الكثير منهم على يد الطغاة الذين جاهدوا على منع التواصل المليوني الجماعي فقد تعرضت زيارة الأربعين المباركة على مرّ العصور الى الكثير من التشويه والتزييف والمحاربة من قبل معظم الطغاة والجبابرة، لأنَّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت وما زالت وستبقى أكبر صرخة وأعظم انتفاضة حدثت حتى الآن في وجه كل ظالمٍ ومتكبرٍ وفاسقٍ، ومن ثم جاءت زيارة الأربعين في كل عامٍ بما تحمله من معانٍ ودلالاتٍ عظيمة لتشكّل نصرة مليونيَّة كبيرة وضخمة وبيعة دائمة ومتجددة للخط الذي نهجه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيت النبوة وتحدياً كبيراً وشامخاً لكل من عادى نهج الحسين في الماضي والحاضر، لكنَّ إرادة الله كانت أقوى وها هي كربلاء على صغر جغرافيتها وضعف إمكاناتها اللوجستيَّة والخدميَّة تستقبلُ عشرات الملايين المنخرطين في عزاءٍ مليونيٍ وجماعيٍ عالميٍ وموحدٍ يتسابقون على تقديم الخدمات بما أشبه الدعم الذاتي من دون أنْ يطلبوا مساعدة من أيَّة جهة كانت فترى الخدمات والمآكل والمشارب الجماعيَّة مبسوطة للجميع بدون منيَّة من أحد.

ارتقت مناسبة الزيارة الأربعينيَّة من مصاف الفردانيَّة أول مرة ومن ثمّ الى مصاف الجماعيَّة ومن ثم الى الجمعيَّة (المليونيَّة) وأخيراً الى مصاف (العالميَّة)؛ لأنَّ القضيَّة الحسينيَّة هي قضيَّة جماعيَّة .عالميَّة . كونيَّة خرجت من إطارها المحلي الضيق الى إطارها العالمي ومن ثم الإنساني الواسع وذلك بجهود المنبر الزينبي الذي أسهم بنشر معالم الثورة الحسينيَّة التي لولا هذا المنبر لتوقفت مسيرة الإصلاح الحسيني عند حدودٍ بسيطة وضيقة وانطمست الى الأبد، فالفضل كل الفضل الى عالميَّة الزيارة الأربعينيَّة يعود بالدرجة الأساس الى زينب (ع) التي قالت ممَّا يقرب من 14 قرناً (فو اللهِ لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا) وهكذا كان وسيبقى.

على مدى عقودٍ من الزمن، حملت مسيرة زيارة أربعين الإمام الحسين "ع"، مضامين وأبعاداً سياسيَّة مهمة وعميقة في مواجهة الأنظمة الاستبداديَّة الديكتاتوريَّة، والتصدي للظلم والطغيان، ومحاربة التيارات والأفكار التضليليَّة المنحرفة، مستمدة من نهج ومبادئ الثورة الحسينيَّة، قيم الشجاعة والجرأة والإقدام في تبني المواقف المبدئيَّة الصحيحة.
وقد مثلت المقولة الشائعة (لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين) مصداقاً لقوة الإرادة، وثبات الموقف، وصلابة العقيدة، لدى زوار الإمام الحسين "ع" الذين كانوا يقطعون عشرات ومئات الكيلومترات في ظل أوضاعٍ سياسيَّة وأمنيَّة خطيرة للغاية، ناهيك عن الظروف المناخيَّة الصعبة في كثيرٍ من الأحيان.

مسيرة المبادئ والتضحيات

عادل الجبوري

ولعله في كل الحقب والمراحل، كانت هناك وقائع وأحداثٌ رافقت مسيرة الأربعين، مثلت رسائل سياسيَّة بليغة ومعبرة، لا يمكن بأي حال من الأحوال نسيانها أو تناسيها أو التغاضي عنها مهما طال الزمن وتبدلت الظروف والأحوال.

وفي تأريخنا المعاصر، مثلت انتفاضة صفر في العام 1977، التي امتدَّ ميدانها من النجف الأشرف الى كربلاء المقدسة، رسالة سياسيَّة عميقة ومؤثرة في وقتٍ كانت نزعة الديكتاتوريَّة والاستبداد تترسخ وتتنامي بصورة سريعة لدى النظام الحاكم في العراق حينذاك، حيث كانت أبرز معالم تلك النزعة، محاربة كل مظاهر الثقافة الإسلاميَّة ببعديها السياسي والاجتماعي.

فالمرحلة التي حدثت فيها انتفاضة صفر، تميزت بتمتع النظام الحاكم حينذاك بعناصر قوة عديدة داخلياً وخارجياً، ما يعني أنَّ رفع راية المواجهة والتصدي له في ذلك الوقت، كان يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة والجرأة والإقدام، وقوة الإرادة، وصلابة الموقف، وتحمل كل تبعات وآثار ونتائج ذلك.

وما أعطى لتلك الانتفاضة أهميتها، هو أنَّ واحداً من أبرز عوامل انتصارها، تمثل بأنها استمدت نهجها الفكري والتضحوي من نهج ثورة الإمام الحسين "ع"، وهي إنما انطلقت وتفجرت للمحافظة على الإرث العظيم والخالد للثورة الحسينيَّة.

وقد بدا صعباً على البعض استيعاب معادلات القوة في هذه الانتفاضة، وفق الحسابات الماديَّة المنظورة والمحسوسة، فالنظام الحاكم لجأ الى استخدام كل آلته الحربيَّة من طائرات ومدافع ودبابات وأجهزة أمنيَّة قمعيَّة، للتصدي لجموع الزائرين العزل الذين كانوا متوجهين صوب كربلاء الشهادة والفداء والإباء والتضحية والصمود.

وكان الكثيرون قد تصوروا وافترضوا خطأ أنَّ النظام الحاكم نجحَ في قمع الانتفاضة وإطفاء جذوتها، مثلما توهم البعض قبل أربعة عشر قرناً من الزمان أنَّ يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن قد انتصروا على الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه في واقعة الطف، ولو كان النظام الحاكم قد انتصر فعلاً لما تفجرت بعد عامين انتفاضة رجب، ولما تفجرت بعد عدة أعوام انتفاضة شعبان، ولما شهد العالم أروع صور البطولة والتضحية من قبل أبناء الشعب العراقي حتى سقوط وانهيار نظام صدام في ربيع عام 2003، مثلما شهد العالم أقبح وأبشع صور الظلم والقمع واستباحة الحرمات وانتهاك المقدسات من قبله.

وقبل انتفاضة صفر وبعدها، سلسلة متواصلة من مختلف أشكال القمع والاستهداف والمطاردة والتضييق لزوار الحسين "ع"، ولعلَّ شهادات من بقي على قيد الحياة حتى الآن كشفت عن خفايا وحقائق مؤلمة من جانب، ومواقف مشرفة وناصعة من جانبٍ آخر.

وبعد الإطاحة بنظام صدام (9 نيسان 2003)، اتخذ استهداف مسيرة الأربعين أشكالاً أخرى، كانت الجماعات الإرهابيَّة التكفيريَّة، القاعدة ومن ثم داعش، وبقايا النظام السابق، وأجهزة المخابرات الخارجيَّة، والوجود الأجنبي، أبرز الأدوات والمحركات الجديدة له، وحلت السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة والانتحاريون بدلاً عن المؤسسات والأجهزة القمعيَّة للنظام السابق، وقد شهدت الأعوام الاولى بعد سقوط الأخير، الكثير من العمليات الإرهابيَّة التي طالت الزائرين في داخل كربلاء وخارجها، وأدت الى استشهاد العشرات إنْ لم يكن المئات، بيد أنَّ ذلك لم يوقف مسيرة الأربعين ولم يضعفها، بل على العكس من ذلك تماماً، زادها قوة وتفاعلاً وتوسعاً واتساعاً، وتصاعد أرقام الزائرين ومواكب الخدمة عاماً بعد عامٍ خيرُ شاهدٍ ودليلٍ.

ولا يمكن اختزال زيارة الأربعين بالجانب الديني العاطفي فقط، فهي فضلاً عن ذلك تعدُّ منبراً حراً لتوجيه رسائل سياسيَّة واجتماعيَّة وأخلاقيَّة الى العالم أجمع، ومن بين أبرز وأهم تلك الرسائل:

- إنَّ الشعب العراقي، شعبٌ حسينيٌ حرٌ لا يساوم على حساب المبادئ والثوابت، وإنَّ مهزلة التطبيع مع الكيان الصهيوني إنْ حدثت في بعض البلدان العربيَّة فهي لا يمكن أنْ تحدث بأي شكلٍ من الأشكال في العراق، وإنَّ من يسعى ويضغط بهذا الاتجاه إنَّما يوهم نفسه بضربٍ من ضروب الخيال.

- إنَّ الشباب العراقي بمختلف خلفياتهم الثقافيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة على أهبة الاستعداد للتصدي لكل من تسول له نفسه مجرد الترويج لفكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني، وهؤلاء الشباب، وإنْ كانوا يسلكون الطرق السلميَّة في رفض مفهوم التطبيع، فإنَّهم مستعدون لحمل السلاح وبذل الأرواح في حال اقتضى الأمر.

- إنَّ الشعب العراقي يقف بقوة مع الشعب الفلسطيني ومع كل الأحرار في المنطقة والعالم برفض التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، وإنَّ دعم المقاومة الفلسطينيَّة وهي تخوض معركة "طوفان الاقصى" مع الكيان الغاصب، يعدُّ من أولويات وثوابت العراق بقواه السياسيَّة والمجتمعيَّة المختلفة.

ولا شك أنَّ من يدقق ويتأمل في هذه الرسائل، يجد أنَّ كلَّ واحدة منها تكمل الأخرى، لتصيغ بمجموعها المواقف المبدئيَّة الشاملة حيال قضايا محوريَّة تشكل الأطار العام لعمليَّة الإصلاح والبناء الحقيقي السليم للدولة والفرد والمجتمع، وهي في واقع الأمر تعدُّ استمراراً وتأكيداً لمضامين ومعاني ودلالات وجوهر زيارة الأربعين منذ انبثاقها، وستبقى كذلك دون تغيير، ارتباطاً بالشعار الحسيني الخالد، (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء).

الحسين ع".. أيقونة الثوار في العالم

د. حيدر علي الاسدي

تعدُّ الثـورة الإصلاحيَّة التي قادها الإمام الحسـين بن علي بن ابي طالب (ع) هـي الأعظم على وجه التاريخ الإنسـاني لذلك أصبحت هذه الثورة الإصلاحيَّة أيقونة ورمزاً يقتدى به على مرّ الحقب والأزمان لما تحتويه من معالم وقيمٍ ورمزيَّة إنسـانيَّة خاصـة لا يوجد لها مثيلٌ أو نظيرٌ فـي الأحداث والتضحيات نظـراً لأروع الصور التـي مثلت معاني البطولة والإيثـار والتضحية والقيم الإنسـانيَّة المضحية من أجل الديـن ومعنى الانتصار في خضم هـذه القيم والدلالات التي قدمها الحسـين وأصحابـه وأهل بيته هناك فـي كربلاء، فقد أصبحت لهـذه الثـورة رمزية فـي العديد مـن المفاهيـم ولعلَّ أبرزهـا ما يتجلى في معنى فلسـفة الثـورة لأنها تمثلت في الاحتجـاج والرفض عبـر ثورة صـوت الحق بوجه الانحـراف والزيف الـذي كان يمثل السـلطة الحاكمة آنذاك.

والحسين لم يقل قولته الشهيرة : "وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطـراً ولا مفسـداً ولا ظالماً، وإنّمـا خرجت لطلب النجـاح والصلاح في أمّة جـدّي محمّد، أريـد أنْ آمر بالمعـروف وأنهى عن المنكر" إلا لأنَّـه أدرك أنَّ القيم بدأت تتهـاوى وأنَّ الزيـف والباطل بـات يغطي على كل مفاهيـم العدالة والإنصـاف ولهـذا الاعتقاد جذرٌ ثوريٌّ متأصلٌ في مفاهيم القـادة الباحثين عن العدل والمسـاواة وإحلال القيم الإنسانيَّة والمفاهيم الدينية بـدلاً من مفاهيـم الفسـاد والجور والظلـم والطغيان التـي كانـت سـائدة آنـذاك عبر شـعار وسـمه الثائر بالحق بالدحض (للآخر المفسد/ المتنفذ) والاستدامة العصرية في الفهم والتلقي (مثلي لا يبايع مثله) أي كل من هو مثل الحسـين وعلى شـاكلته وخطـاه لا يبايع كل مـن يتمثل أخـلاق أعدائه ويكون على شـاكلتهم وهو خطٌ رسـمه الحسـين بن علي للثوار والمحتجين والمنتفضين بأوجه الفساد المتنوعة.

لم تكُ تلك الثورة الحسينية عابرة أو محط قيمة دنيويَّة مؤقتة أو مصلحة فئويَّة راغبـة بالملك والحاكمية على الآخرين بل الهدف الإصلاحي الأسـمى كان هو شـعار تلك الثورة الحسـينية لذلك بقيـت خالدة بكل قيمها الرمزيـة الى عصرنا الحالي، لـذا نرى العديد من الثوار والمصلحين في العالم الحديث حاولوا استلهام رمزيَّة الإمام الحسـين بن علي والتأسي به وبأخلاقه الخاصة والاقتداء بثورته الإصلاحية ومدلولاتها التي تحث على الوقوف بوجه كل الأنظمة الفاسدة الظالمة فهذا الثائر الكوبي (تشـي جيفـارا) يقول: "على جميـع الثوار في العالم الاقتداء بتلك الثـورة العارمة التي قادها الزعيم الصلب الحسـين العظيم والسـير علـى نهجها لدحر زعماء الشر والإطاحة برؤوسهم العفنة".

وكذلـك نجد هـذا التأثر في فكـر الزعيـم الصيني (ما وتسي تونغ) الذي قد أبدى إعجابه بالنهضة الحسينية قائـلاً: "عندكـم تجربـة ثوريَّة وإنسـانيَّة فـذة قائدها الحسـين وتأتـون إلينـا لتأخـذوا التجـارب". ويقول الهندوسـي والرئيس الأسـبق للمؤتمر الوطني الهندي تاملاس تونـدون بأنَّ "هـذه التضحيـات الكبرى من قبيـل شـهادة الإمام الحسـين رفعت مسـتوى الفكر البشـري، وخليـق بهذه الذكـرى أنْ تبقى إلـى الأبد، وتذكر على الدوام". أما (توماس ماسـاريك) الذي كان سياسـياً ورجل دولة وفيلسـوفاً تشيكوسـلوفاكياً فهو يقول: علـى الرغم من أنَّ القساوسـة لدينا يؤثرون في مشـاعر الناس عبر ذكـر مصائب المسـيح، إلا أنك لا تجد لدى أتباع المسـيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجـده لدى أتباع الحسـين -عليه السـلام- لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم".

وكذلـك يتجلـى الإعجـاب بهـذه الشـخصية الثورية فـي أدبيـات (محمد زغلول باشـا) وهـو زعيم مصري وقائد ثـورة 1919م في مصر وأحـد الزعماء المصريين التاريخيين فهو يقول: "لقد أدى الحسين بعمله هذا، واجبه الديني والسياسـي، وأمثال مجالس العزاء تربّي لـدى النـاس روح المـروءة، وتبعث في أنفسـهم قوّة الإرادة في سـبيل الحـقّ والحقيقة". أمـا (لياقت علي خان) أول رئيس وزراء باكستاني فقد تحدث عن رمزية هـذه الثورة واسـتدامتها مبيناً: "لهذا اليـوم من محرم مغزى عميقٌ لدى المسـلمين في جميع أرجاء العالم؛ ففـي مثل هذا اليوم وقعت واحـدةٌ من أكثر الحوادث أُسـىً وحزنًا في تاريخ الإسلام. وكانت شهادة الحسين مع ما فيها من الحزن مؤشر ظفر نهائي للروح الإسلاميّة الحقيقيّة، لأنّها كانت بمثابة التسـليم الكامل للإرادة الإلهيّـة. ونتعلّم منها وجوب عدم الخـوف والانحراف عن طريق الحـقّ والعدالة مهما كان حجم المشـاكل والأخطار"، وقد أثرت في الأخير هذه الروح الإصلاحية إذ عاد لياقت علي خـان إلى الهند بلده الأم عام 1923 وانخرط في السياسـة الوطنية وقد سـعى الى اجتثاث ما رآه ظلمًا ومعاملةً سـيئة للهنود المسـلمين في ظل الحكومة البريطانية وممارساتها القمعية والتعسفية.

إنَّ عالميـة الثـورة الحسـينيَّة جعلت مـن العديد من المظلومين والثوار والباحثين عـن الإصلاح يقتدون بالحسـين بن علـي وثورتـه العظيمة ويرفعـون ذات الشـعارات التي رفعها هذا الرجل (هيهـات منا الذلة) وهو مـا جعل تلك الشـعارات الحسـينية الإصلاحية الثائرة تترسـخ في تجاربهم وعملهم الميداني من أجل محاولـة البحث عـن إحقاق الحـق وانتشـار العدالة والمسـاواة وإزالة الظلم والجور من ربوع المعمورة أو المسـاحات الجغرافية التي يتحركون في فضائها ضمن نطـاق معطى قيمي مهـم يتمثل بأيقونـة ثورية تكون مرجعية ومـداداً لكل ثائر باحث عن الإصلاح في هذه المعمورة.

توثيقٌ شعريّ لواقعة الطفّ

لا يخفى على أحد ما تثيره العاطفة الشعرية بكل تجلياتها، من تفاعل واستحضار أي فرد لمشاعره الدفينة؛ سواء كانت في الفرح أو الحزن أو الحب أو الغضب أو الجزع أو الخوف وغيرها، وتسهم هذه العاطفة في توضيح هدف الشاعر من الكتابة، معتمداً في الأساس على الفكرة الرصينة، والخيال الخصب، والأسلوب المتفرد والنظم الموزون، وكل هذه عناصر بلاغية يستعملها من أجل إيصال الصورة الشعرية التي يستهدفها في نصه، معتمداً كذلك على الاستعارة، والتشبيه، فضلاً عن صنوف البديع والكناية والبيان.

رحيم رزاق الجبوري

فالشعر هو كلام مصور يعتمد ويستند على استخدامِ الموسيقى الشعرية، ويحمل بين ثناياه معاني لغوية تؤثر في الإنسان عند قراءته، أو سماعه. فهو صورة جميلة من صور الفن، لأنه يخاطب خيال الإنسان، ويحرك الصور الكامنة المتلونة والمتنوعة المكتنزة في وجدانه، ولهذا حين تسمع إحدى القصائد الحسينية تستحضر الأحداث المؤلمة بكل تفاصيلها، والتي يرسمها الشاعر بقلمه، وتعيش معها بكل ما تحمله من ألم ومواقف صعبة ومؤثرة، ويجبرك على ذلك من خلال وصفه، مستنداً على قدراته التعبيرية ومهاراته البيانية ورصيده المعرفي والثقافي الذي يحصنه ويجعله قادراً على الدخول لعقول وقلوب الجماهير، من خلال نص أدبي يتناول فيه مشهداً من المشاهد المتعددة للقضية الحسينية الخالدة. ومما تقدم تعد القصيدة الحسينية أحد الروافد الأدبية المهمة التي حفظت ودونت تاريخ واقعة الطف، وهي بوابة ومنصة إعلامية زاخرة وثرية تبث وتعزز قيم الدين الإسلامي الحنيف، والشريعة المحمدية السمحاء، وثقافة آل البيت الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

انعكاسات واقعة الطف

إلى ذلك يرى رسول مهدي الحلو (كاتب وباحث) أن: "بعد حادثة استشهاد الإمام الحسين (ع) سبط رسول الله (ص) وسيد شباب أهل الجنة على يد الأمويين بتلك الصورة المروّعة، والمشهد الرهيب، في أرض كربلاء انعكست آثارها على جوانب متعدّدة من حياة المسلمين بصورة عامة، والموالين لأهل البيت بصورة خاصة، نتيجة لطابعها المأساوي الذي تغلغل في ضمائر الأحرار، والأباة الرافضين للظلم والإجرام. لهذا كانت ردود الأفعال على تلك الجريمة النكراء متعددة الجوانب ولم تقتصر على جانب محدّد. فمثلاً تمثّلت بعض ردود الأفعال بالثورات والمواجهات مع السلطات الظالمة والرفض التام للسياسات الأموية والشواهد التاريخية المهمة هي وقعة الحرة التي حصلت في المدينة المنوّرة، وكذلك محاصرة البيت الحرام (مكة المكرّمة) وتسليط المنجنيق الأموي عليها في الحرب ضد عبد الله بن الزبير".

الملهم الأول

ويضيف: "على مستوى الأدب تفجرت براكين الشعر والنثر، وأصبحت حادثة الطف الملهم الأوّل لكل الخطباء والشعراء الأحرار الذين كانوا يعبّرون عن هموم الناس في دولة عادلة خالية من الظلم والجور، فظهرت الأسماء اللامعة من فحول شعراء القريض نذكر منهم الشاعر الكميت بن زيد الأسدي صاحب قصيدة (أضحكني الدهر وأبكاني) التي ألقاها أمام الإمام الباقر (ع)، والشاعر دعبل الخزاعي صاحب قصيدة (مدارس آيات) التي ألقاها أمام الإمام الرضا (ع) وغيرهم كثيرون. ولا شك أن هذه القصائد ذاع انتشارها بين أوساط العرب والمسلمين كما هي عادة الشعر عندهم لتنتشر من خلالها أحداث كربلاء في الأجيال المتعاقبة بالرغم من سياسة التعتيم الصارمة التي مارستها السلطات الأموية والعباسية، وتوالت القصائد الرثائية كمنصّة إعلامية على مر الحقب تعبّر عن تعاطف ومواساة كل أهل عصر لأهل البيت (ع) وتنشر مصائبهم ومعاناتهم وما جرى عليهم في أرض كربلاء رجالا ونساءً وصغاراً وهم أهل بيت النبوة ومهبط الوحي".

القصيدة الحسينيَّة الشعبيَّة

ويكمل: "وفي السنوات المتأخرة دخلت القصيدة الحسينية الشعبية بقوة في ميدان الرثاء. وقد أثبتت تألقها وجدارتها بأن تكون المعبّرة ذات التأثير الأشد في شد الناس إلى فواجع الطف بعد أن قيّض الله (تبارك وتعالى) لهذه القصائد الشعبية الحسينية أصواتاً عذبة دافئة من الروايد الرواد من أمثال المرحوم حمزة الزغير، والشيخ جاسم النويني، والشيخ ياسين الرميثي، والشيخ وطن النجفي، والشيخ عبد الرضا الرادود وآخرين. ومما أسهم وبشكل فعّال في حفظ ونقل هذه القصائد المرددة هو استعمال أشرطة التسجيل، خصوصاً أشرطة (الكاسيت) التي أوصلت القصائد الحسينية إلى أبعد نقطة في الأرض بالرغم من مكافحة ومحاربة الأنظمة الحاكمة السابقة بالأخص نظام البعث بكل قسوة وتعسّف لكل ما يتعلق بذكر الإمام الحسين (ع) حتى تخيّل للكثيرين ممن عاصروا

◀◀

شيخ الروادید یاسین الرمیثي

الشاعر عبد الحسین ابو شبع

الشاعر كاظم منظور الكربلائي

الشاعر الحاج رسول محي الدين

الرادود وطن النجفي

تلـك الفتـرة أنه لم يبق شـيء مـن تلك القصائد بسـبب سياسـة الشـدة والصرامة إلى مسـتوى إعـدام الكثير من الشـعراء والرواديد الحسـينيين ولكن لله (تبارك وتعالى) إرادته بـأن تحفظ أكثر جهـود أولئك الرواد من الشـعراء والروادیـد لتنطلـق على شـكل انفجار هائل بعد سـقوط النظام السابق والانفتاح التام على العالم ودخول منصات التواصل وأجهزتها".

ترسيخ النهضة الحسينيّة

ويختـم الحلو بالقول: "وبهذا نسـتطيع أن نجـزم بفعالية القصائد الشعبية الحسينية في ترسيخ نهضة الحسين (ع) ومـا تعرضت له من ظلم وجور فـي عقول وقلوب الأجيال المتعاقبة سواءً في داخل العراق أو خارجه. وأيضاً نؤكد بأنه لولا جهود الشـعراء أصحاب القصائد الشعبية الحسينية، وكذلـك جهـود الروادیـد لاندثـر الكثيـر الكثيـر ممّا شـاهدناه ونشـهده في سنوات ما بعد سـقوط النظام السـابق من إقبال شـعبي عارم من داخل العراق وخارجه نحـو قبلة الأحرار أبي الشـهداء في مناسـبتي العاشـر من محرّم والعشرين من صفر".

تثوير القصيدة

بينما يقول الروائي د. ميثم هاشـم طاهـر: "غالباً ما يكون الحب والموت محرضين كبيرين لإيلاد العاطفة البشرية، والشـعر الوجدانـي يمثل التجلي الأعظـم لتلك العاطفة، ولعـل قصيـدة الرثـاء ذات التاريـخ الطويـل، ربما تمتد للبواكير الأولى للشـعر الإنساني. هي من تجمع بين الحبّ والمـوت معاً، وفي ما يخصّ القصيدة الحسـينيّة، يضاف لذلكمـا المحرّضين بعداً ثالثـاً، التثوير. فتجد أن دعاماتها الأساس هي: الحب، والثورة، وتحويل الموت (استشهاده العظيم) إلى حياة ليكون باسـتطاعة (القصيدة الحسينيّة) أن تجذب الأرواح الكسيرة، وتمنحها لا السلوان فحسب، بل والإحسـاس بالقوّة، والإقـدام، والجلال. لتكون دماء الشهيد على لسان الشعراء، ترمي الظالمين بشرر الثورة".

نماذج شعريَّة

ويسـتعرض ميثـم، نمـاذج شـعرية، لتأكيـد دلالاته في هـذا المجال، قائلا: "نظم الشـاعر عبد الحسـن زلزلة في أربعينيـات القـرن المنصـرم، قصيدة شـعرية، يقول في مطلعها:

هذي دِماكَ على فَمي تتكلمُ
ماذا يقول الشِّعرُ إن نَطَقَ الدَمُ
دَويّ بقلبِ الْمستكين وجَلْجِلي
صَوتاً يُريعُ الظالمين ويُلجمُ
وتَفَجَّريْ جِمَماً على مُستَعْبِدٍ
بمَصيرِ شَعبٍ بائسٍ يتحكمُ

يا مالئ الدم الدنيا ومروءة

ويضيـف: "بينما تجـد عبدالرزاق عبد الواحـد يقيم صراعاً بين الشـهيد الحسـين وبين موته في قصيدته اللامية (يا مالئ الدم الدنيا ومروءة):

حتى إذا التقيا تهيبَ موته
فهوى الحسين عليه مثل الأجدلِ
هي ميتةٌ عِدَلُ الحياة بأسرها
أفل الزمان ونجمها لمْ يأفُلِ

ويقول في ميميته الشهيرة:

وَما دارَ حَولَكَ بَل أنتَ دُرتَ
على الموتِ في زَرَدٍ مُحكَمِ
من الرَّفْضِ، والكبرياءِ العظيمةِ
حتى بَصُرتَ، وحتى عَمِي
فَمَسَّكَ من دونِ قَصدٍ فَمات
وأبقاكَ نجماً من الأنْجُمِ

ومثله يفعل مظفر النواب بقوله:

أراك بكل المرايا
على صهوةٍ من ضياءٍ
وتخرج منها
فأذهل أنك أكثر منا حياةً
ألست الحسينَ بنَ فاطمة وعليْ
لماذا الذهول؟
قد تعلمت منك ثباتي
وقوة حزني وحيدا
فكم كنت يوم الطفوف وحيدا
ولم يكُ أشمخ منكَ
وأنت تدوس عليك الخيول

هزيمة الموت

ويختـم، طاهر بالقـول: "ففي مراثي الإمام الحسـين ليس البـكاء من يهيمـن، بل هزيمـة الموت نفسـه، الخلود، خلود الحسـين وقيمه العظيمة، ولم يكن سوى الحسين من هزم الموت وشـروط الموت وكل أشكاله. ولنا أن نختم بما قاله شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري:

فيا أيُّها الوِتْرُ في الخالِدينَ
فُذّاً، إلى الآنَ لم يُشْفَعِ
ويا عِظَةَ الطامحينَ العِظامِ
للاهينَ عن غَدِهِمْ قُنَّعِ

القصيدة الخالدة

وفـي السـياق ذاته، يـروي علاء رسـول محيـي الدين، نجـل الشـاعر الراحـل الحـاج رسـول محيـي الديـن (1922 - 2002) تفاصيـل وقصـة القصيـدة الخالـدة (يحسـين بضمايرنـه)، قائلاً: "قبـل أكثر مـن ٥٠ عاماً، وُلـدت (يحسـين بضمايرنه)، فـي الحمزة الشـرقي كتب مطلعها، وفـي بغداد اكتملت أبياتهـا، وفي كربلاء قُرئت لأول مرة، وفي خرنابات سُجلت على الكاسيت، وفي خان النص أصبحت نشيداً للثوار".

دعوة وحدث وموقف

ويضيـف: "في محرم 1394هـ (كانون الثانـي 1974) تلقى الشـاعر الحاج رسـول محيي الدين دعوة وجهها له الحاج حسـن آل ماشـي لإحياء مراسـيم عاشـوراء، فـي موكب جمهور الحمزة الشـرقي فـي محافظة القادسـية. وعلى أثر ذلك اسـتدعي كل من الشـاعر وصاحب الموكب لمقابلة مدير أمن الديوانية لغرض إبلاغهما تعليمات السلطة في ما يجب أن يقال على المنبر من مديح للحزب والثورة. وكذلك لتسـليمهما مبلغـاً من المـال تحت عنوان دعم الشـعائر الحسـينية. وهو إجـراء كان يتبعـه زبانية النظـام المباد لغرض السـيطرة على الشعائر وصولا إلى منعها لاحقاً. وقد اعتذر الشـاعر عن المديح على المنبر بذريعة أن الظرف لا يسمح؛ لأن المناسـبة حزينة وقد لا يتقبل الناس التطرق إلـى مواضيع خارج مصيبة عاشـوراء، ما قـد ينتج مردوداً عكسياً لما يريده مدير الأمن. وبخصوص المبلغ رد الشاعر أنه شـخصياً غير محتاج، كونه لا يقرأ تكسـباً، بل أملاً في مرضاة الله وشـفاعة الحسين (ع). وإذا كان المقصود دعم الشـعائر فليتم التبرع في هذه الحالة إلى الموكب مباشـرة وأمام الناس أثناء قراءة القصائد كما جرت العادة".

الولادة

ويمضي، نجـل الراحل بالحديث، قائلاً: "وخرج الشـاعر مـن المقابلـة غاضبـاً متألماً بعد أن أسـمعه مديـر الأمن كلمات تسـيء إلى شعائر عاشـوراء وإلى معتقدات الشيعة وتقديسهم لآل بيت الرسـول (ص). وفي طريقه إلى محل إقامته المؤقت تولدت فكرة القصيدة رداً على إسـاءة مدير الأمن. وبعد إتمام الصلاة أمسك بورقة وقلم ليكتب مطلع القصيدة وكان وقتها (يحسـين بعقايدنه) وليس (يحسين بضمايرنـه) كما اشـتهر لاحقاً. ثم أكمل نظـم القصيدة في الأسـابيع اللاحقـة في بغـداد حيث كان يسـكن في حي البنوك".

تضييق مستمر

ويتابـع: "وفي موسـم الأربعين قـرأ الشـاعر القصيدة في صحن الإمام الحسـين (ع) لكنه لم يكملها بسـبب إشارة وردته من زبانية الأمن المتواجدين في الصحن الشريف، رغم كون القصيدة مجازة سـلفاً. فأنهى القصيدة عند مقطع (تربة كربله تشهد ألمن دمنه أصبحت حمرة) بعدما خنقته العبـرة، ولـم نتمكن من تسـجيل القصيدة على شـريط (بكرة) وقتها بسـبب عدم امتلاك الموكب لجهاز تسجيل. وبعد ذلك أخفى الشاعر القصيدة أملاً في أن يسنح الظرف لقراءتهـا، كونه امتنع عـن القراءة في المواكـب بعد هذه الحادثة".

نشيد المنتفضين

ويختـم، السـيد عـلاء مداخلتـه الثريـة، المشـفوعة بالمعلومـات الدقيقـة والصـور والأحـداث والمواقـف والتواريخ، مشيراً بالقول: "وقبيل موسم عاشوراء (1397هـ 1977م) طلب الرادود المرحوم الشيخ ياسين الرميثاوي من الشاعر الوالد، مجموعة قصائد تهيؤاً للموسم القادم حيث تعود أن يستنسخ نسخاً من القصائد المقروءة في المواسم السـابقة. وعرضـت عليه، فضلاً عن عرض هـذه القصيدة وقـص عليـه حادثة القـراءة في الصحـن الشـريف. فتأثر الشـيخ ياسـين بالقصيدة وقرأها في موكب عـزاء خرنابات في ديالى، وتعمد عدم ذكر اسـم الشـاعر تحسباً للمحاذير الأمنيـة، لكـن تم تسـجيلها على شـريط كاسـيت، وهو التسجيل الذي اشتهر وانتشـر على مدى العقود الماضية. وقد وصلت نسـخة من الكاسـيت إلى ثـوار انتفاضة صفر 1977 فـي طريق النجـف - كربلاء والتي صـادف اندلاعها بعد أسـابيع من قـراءة القصيدة في خرنابات. فسـرعان ما تـم تكثيرهـا وتوزيعها علـى الثوار حيث أصبحت نشـيداً وهتافاً للمنتفضين على طول طريق مسـيرتهم من النجف إلى كربلاء".

براعة المنظور

بدوره يشير د.فلاح الزيدي، إلى عنصر مهم، برز من وحي القصيدة الحسينية، وهو ولادة ثقافة ولون جديدين تأسساً في النص الحسـيني، برع فيهما الشـاعر المرحوم الشـيخ كاظـم منظور الكربلائي، وأضحتا سـمة واضحة وأسـلوباً ملهماً سـار عليهما الشـعراء بعده، إذ يقـول: "إن الخطوة التي أقدم عليها الشاعر منظور في قصيدة (گلّي ياالميمون) تُعـد من أجرأ الخطوات التي يمكن أن يُقدم عليها شـاعر، للكتابة في موضوع حساس يمس ضمير أمة كاملة ويحركه

د. فلاح الزيدي

علاء حمد

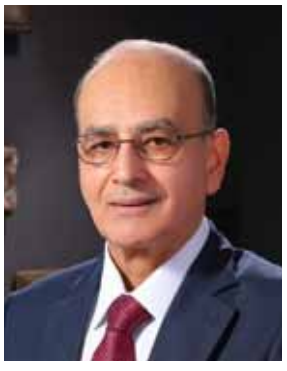

علاء رسول محيي الدين

كامل العتابي

رسول مهدي الحلو

ميثم هاشم محمد

باتجاهات معينة قريبة كانت أو بعيدة".

ثقافة جديدة

ويضيف الزيدي: "أن الجرأة التي أقصدها في هذه القصيدة، لا أجزم أن الشاعر كان رائداً بها، إلا أنني أجزم أنه أسس لثقافة جديدة في النص الحسيني ألهمت العديد من الشعراء عبر أجيال عديدة من تاريخ كتابة القصيدة ليومنا هذا ولسنين قادمة أخرى. ومن يبحث في تاريخ الأدب يجد أن للشعراء تجارب تشابه تجربة منظور في قصيدته الشعبية هذه، ففي فجر الشعر تجد من تكلم بلسان الحيوان، ومن تكلم بلسان الطير، وحتى من تكلم بلسان الجماد كما فعل شعراء الأطلال".

علامة فارقة

ويختم: "إلا أن خطوة المنظور كانت فارقة عندما استحضر حصان الحسين (الميمون) وجعله ناطقاً وشاهداً عبر قصيدة نجحت في اختبار الزمان والمكان. تلك القصيدة الحية والمتحركة جعلت من الحصان غير العاقل ناطقاً بضمير جمعي يمكن اعتباره ضمير أمة كاملة مفجوعة بقتل ابن بنت نبيها. وهذه القصيدة فتحت الباب على مصراعيه أمام بقية الشعراء لاستحضار شواهد كثيرة عاقلة وغير عاقلة، لجعلها شاهداً تاماً على ذلك الحدث المر والأليم، فترى من استحضر النبلة وخاطبها، ومن أوقف الرمح وسأله، ومن جاء بالفرات وحاكمه، ومن جاء بالطير وألزمه بما يدور في مخيلة الشاعر نفسه والأمة بعده. فسبحان الله الذي ألهم المنظور هكذا فيض بهكذا قصيدة ستظل محفورة في أديم الوجدان الشعبي".

ثياب الحزن والعدول الخيالي في التعبير

عبّرت القصيدة الحسينية عبر منطوقها الشعبي عن ملابس الحزن وسبايا كربلاء منذ بدايات ليست بالقليلة على المتلقي، وقد ترعرعت في البيوت العراقية، ناطقة ونازلة مع خيالها البرهاني وإيحاءات دلالية، ما أعطاها سيميائية الحضور في فنّ النظم، وقد برز فيها الشاعر الكربلائي كاظم المنظور (شاعر يكتب بالفطرة، ولا يجيد الكتابة والقراءة، ولم يحصل على أي تحصيل علمي)، وبحسب علاء حمد (كاتب وباحث) الذي يضيف بالقول: "لقد واكب هذا الشاعر طوره المميز في كيفية الوزن وإعطاء القصيدة حقّها كأنه يتلو علينا بعض الحكم المثبتة عبر التأريخ، لقد ترى على هذه القصيدة الكثير من الأجيال وكتبوا بطابع الحزن وما يشدو لأهل العراق من انتكاسات جمّة على مر التاريخ".

دلالات ومؤثرات

ويكمل: "وتعد هذه القصيدة، رحلة الخيال في هذه الملاحم وما جرى في أرض الطف (كربلاء المقدسة) من مذابح وسبي للنساء.. فقد دخل الشاعر عبر مخيلته التي أدارها نحو هذه الملاحم بخياله الواسع، وحرّكه بالشكل المطيع، مستعرضاً أنواع القتل والعطش في عزّ الحر وبصحراء نائية تكسوهم الخيم المؤقتة. وتتضمن هذه الملحمة رحلتين، الأولى رحلة الحسين (ع) إلى كربلاء واستشهاده هناك على يد يزيد وأعوانه، ومن ثم الرحلة الثانية ما بعد استشهاد الحسين (ع) وكيفية الدخول إلى حدث القصيدة. وتمثّل الرحلة الأولى (صراع الإنسان مع قوى الشرّ)، كما تمثّل الرحلة الثانية (بحث الإنسان عن سرّ الحياة وصراعه مع الموت ذلك المجهول). لقد كانت هذه الرحلات ذات أثر في الحياة وكيفية التخلص من الكثير من السلبيات. ومن هنا أعطت القصيدة الحسينية مؤثراتها بين الباثّ والمتلقي وكيفية الدخول إلى منظورها الشعري. فالمحسوسات هي محسوسات قلبية أكثر مما تكون ذهنية، ولكن الشاعر الحسيني بشكل عام استطاع أن يسخّر هذه الحسيّة في دلالاتها؛ كي تأخذ مجالها الشعري وتأثيره بالآخر".

علم الدلالة

ويختم حمد، حديثه بالقول: "إن علم الدلالة، يقوم بدراسة الرموز بصفة عامة، دراسة قائمة على أسس علمية وذلك بوصفها أدوات اتصال يستعملها الفرد للتعبير عن أغراضه. وإذا كانت هذه الأمور حاملة للمعاني، فإن موضوع علم الدلالة هو كل ما يقوم بدور العلامة أو الرمز، سواء أكان لغوياً أم غير لغوي، وهنا دور القصيدة وعلاماتها في الشعر المحكي، ما أعطى قوّة لا تضاهى في التعبير من خلال الصور الشعرية المعتمدة في القصيدة الواحدة".

ملاحظات

بدوره يقدم كامل العتابي (شاعر وإعلامي) عدة ملاحظات، حول القصيدة الحسينية الشعبية، منتقداً بعض شعرائها، الذين يستخدمون مفردات لا تليق بالمقام العظيم لآل بيت النبوة (ص)، إذ يقول: "على كتاب القصيدة الحسينية؛ أن يترفعوا جاهدين باحثين عن الهدف السامي لموضوع القصيدة ومضمونها الحقيقي، لا أن تكون هزيلة، يذهب بها كاتبها إلى زوايا العاطفة المستميتة؛ كي يصل بها إلى جمهور أوسع من دون أن يقدم بين شفراتها سمو القضية ورفعتها". رافضاً "استخدام بعض المصطلحات التي لا يجب ذكرها، ولا يجب إشاعتها في الوسط الأدبي الحسيني، ومنها: (تعبانات، خيطن خيمچن، أنه چويعدة، أخذ ترچيتي، السوط أعله متني، راسك بالطشت شفته، وغيرها الكثير)". داعياً الشعراء -بقلب صادق- إلى "مراجعة وقراءة التاريخ من مصادره الرصينة، والبحث عن العقائدية والعدالة والسمو في ما يتناولونه من أفكار يحولونها إلى قصائد شعرية. لأن الأمانة مطلوبة، والمسؤولية واجبة عليهم. فلا تنحدر بكم الأهواء -أيها الأحبة- نحو الشهرة ومغرياتها، على حساب الدين والعقيدة والمبدأ والضمير الحي؛ كون الشاعر الحسيني يحمل قضية وهدفاً سامياً، ويتحمل ما يكتبه. وعلينا جميعاً أن نفهم ما هو الحسين (ع)، وليس من هو الحسين (ع). فالحسين هو من يحيينا، وليس نحن من نحييه".

كرم عراقي

سعد صاحب

يا بخت كلمن مشالك ...
فوگ عكازه ولزم بالايد بابك،
يا بخت كلمن بجالك ...
لن دمع طوفان يستاهل مصابك،
يا بخت كلمن على الشباچ طاف ...
يا بخت كلمن ضوه المحراب شاف ...
يا بخت كلمن على البيبان حس !
واحنه غايتنه الوصول ...،
ما تأخرنه رياح ولا عصف هاي الفصول ...
من كثر ما بيك هيمانه شغف كل العقول،
گالت الوادم جنون وهذا مس !
فوگ كل الروس تتخاطف حمامه ...
يا هله بالزاير الجاي بفرح صحناله كلنه،
والتعب لا ما يهمنه ودوم بالشفه ابتسامه ...
يا هله ومية هله بطيبة گلب للناس گلنه ...
طيب الچاي العراقي،
طيب الزاد العراقي،
واللهب يلمع مثل ما تلمع بخد الثلج بالليل شامه ...
والحزن مظفور بغيابك مثل ذيل الفرس !
يا شهيد المات من اجل العفاف،
گوم واسمع للسمه يدوي الهتاف،
عاين الدمك صبح گبه ومنارات وشبابيچ ومراقي ...
هاي اعوام ورمل كوفان باقي ...
لا تطشه الريح تكدر لا ولا يوم انطمس !
احنه نهواك ونحبك يا شهم حد القيامه،

ما نعوف حسين حد رض الصدور ...
ما نعوف حسين حد اخر نفس .
شاعلين بوحشة دروبه سرب من المشاعل ...
زفه نمشيله بحزن وشموع وجروح وهلاهل ...
كل محب روحه شمع للناس شاعل،
فوگ كل خطوه گمر ضاوي ينور،
فوگ كل خطوه شمس حمره تدور،
فوگ كل خطوه قبس!
لو بدينه نروح يوميه نزوره ...
جايبين شموعنه وكل النذوره ...
هاك عاين سود من كثر الطبخ هاي الجدوره،
لكن بيوم النشور ...
ابيض الوجنات كلمن خاط بچفوفه العدس !
مهرجان من المواكب والموالاة التبث بيك السرور ...
مهرجان من المشي صوب الامام بكل حبور ...
طول كل هاي الشوارع،
سفره ممتده طويله ...
توصل اعنان السمه وتلتف مثل شكل الجديله ،
والبشر من فوگ چنهم،
غابه من ورد الخميله ...

والوطن بيبان مفتوحه ومعازيب وكوانين ومضايف،
والشمس والحر مثل نسمات شلال المصايف ...
والسلال مترسات بكل لذيذ الطاح من ذيچ الجنان،
والزغار تلم بديهه بكل براءه بكل حنان،
من عصير وبسكويت ومن تمور ...
من عنب اسود يلالي ومن رطب مايع ترافه،
من هذاك التوت من اطيب كنافه ...
والدرب مملي مشاتل،
لوح من رمان فاخر ...

لوح من تفاح نادر ...
لوح من البرتقال ولوح خس !
وانته تاريخ المواقف ...
ذاك دمك لسه يجري بكل ضمير،
ذاك دمك لسه يجري بكل غدير ..،
ذاك دمك لسه يجري وما يبس !
احنه عنوان الضيافه ...
والضيافه هاي صدگ بس لهلنه ،
والشمسنه العاليه وبرحي نخلنه ،
هاي صدگ ماركه باسم العراق ...
والمفاخر والعطايه تلوگ النه ،
بالجناسي كتبوا اكرام ومحبين واهل ملگه ونشامه ...

طيب مليانين واخلاص ووفه وحب وشهامه ،
واحنه بس احنه التسولف طيبنه بلهفه الشفايف ...
واحنه بس احنه العلينه مفصله فصال الكرامه ،
واحنه بس احنه اليشير النه البنان ،
بالمحبه وباهته بلايه ملحنه تصير يا ناس السوالف ،
من يمر طاري اسمنه ينشرح حتى اللسان ...
واحنه احنه بكل زمن عدنه علامه ...
بالكرم والجود والايثار وعزوبية الخطار بس!

حسينيات

الصباح
ALSABAH NEWSPAPER
رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

www.alsabaah.iq
16 صفحة
ch.editor@alsabaah.iq

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام